جهود الحكم المستنصر في تأسيس مكتبته ومصادر تمويلها

د. عزيز جاسم محمد العبادي
جامعة الموصل/ كلية الآداب

تاريخ تسليم البحث : ٢٠٠٧/١٢/٣١ ؛ تاريخ قبول النشر : ٢٠٠٨/٢/١٧

ملخص البحث :

يهدف البحث إلى التعرف على واحد من الاعلام الذين خدموا الحركة العلمية في الاندلس واسهموا اسهاماً فاعلاً في تقدمها وازدهارها ، ألا وهو الخليفة الحكم المستنصر بالله المتوفى سنة (٣٦٦) للهجرة ، وتأتي اهمية الدراسة بوصفها محاولة للكشف عن مكانته العلمية بغية رسم صورة تاريخية حقيقية عنه ، فقد تضمنت الدراسة التعريف به من حيث ولادته ونشأته وشيوخه وقدراته العلمية لتشكل شخصيته في مختلف أبعاد تكوينها الذاتي فضلاً عن طبيعة عمله في مجال السياسة كونه خليفة ، التي تعد عنصراً أساسياً في مكانته الاجتماعية .وتطرقت الدراسة إلى الجهود التي بذلها في تأسيس مكتبته ومصادر تمويلها من خلال أستقطاب جهابذة الاعلام إلى قرطبة وحثهم على التأليف وارسال ذوي الخبرة إلى الامصار لاقتناء الكتب ، حتى أسس مكتبة عُدَّت من أشهر المكتبات في العالم الاسلامي انذاك ، مما جعله أحد الاعلام البارزين في الحضارة العربية الاسلامية.

The Efforts of caliph AL- hakam al-musansir in establishing his library and its funding resources .

Dr. Aziz Jasim mohamad
Mosul University / College of Art

Abstract:

The present paper aims at introducing one of the most celebrated figures who served the scientific movement in Andalusia and who played an important role in its progress and prosperity . This figure is caliph AL_Hakam AL_Mustansir bil-llah (died 366 A.H).

The significance of this study lies in its being an attempt at highlighting the position of this figure in order to depict a real historical image for him .

The study includes an introduction of this figure such as his birth, early life , old age and scientific abilities to make up a whole

dimensional character besides his work in politics as a caliph , which is considered as the major element in his social position .

The study also touches upon his efforts in establishing his library and its funding resources through importing great thinkers to corduba and urging them to write as well as to send experienced people to different places to bring books . He could found a library that is considered one of the most famous library in the islamic world at that time , which made him a major figure in the Islamic Arab civilization .

المقدمة:

تعد المكتبات من المؤسسات الثقافية المهمة ورافدا من روافد الحركة العلمية ، والعاملة على تقدمها وازدهارها بوصفها الدعامة الاساسية التي يقوم عليها صرح العلم والثقافة والحضارة ، اذ يقاس رقي الامم وتقدمها بكثرة مكتباتها ، وما تلقاه من عناية ورعاية، وحفل التاريخ الاندلسي بالصور التي تؤيد هذا الاتجاه من خلال مكتبة الحكم المستنصر موضوع البحث وما بذله من جهود في تاسيس مكتبته التي حوت الآلاف من امهات الكتب النادرة والنفيسة والتي عدت من اشهر المكتبات في العالم الاسلامي انذاك.

يهدف البحث الى دراسة جهود الحكم المستنصر في تاسيس مكتبته ومصادر تمويلها بغية الوقوف على ما بذله هذا الخليفة العالم من اسهامات فاعلة ومباشرة في رفد مكتبته بشتى حقول المعرفة مما دفع الباحث لمحاولة التعرف الى مدى مساهمة الحكم المستنصر وتتبع هذا الدور لما له من اهمية في رفد الحركة العلمية والثقافية للمجتمع الاندلسي والعالم الاسلامي انذاك. اشتمل البحث على فقرتين اساسيتين تضمنت الاولى التعريف بالحكم المستنصر ، وخصصت الثانية لجهوده في تاسيس مكتبته ومصادر تمويلها.

١. التعريف بالحكم المستنصر:

ولد الحكم المستنصر في مدينة قرطبة (Cordoba) يوم الجمعة عند صلاة الظهر لست بقين من جمادى الآخرة سنة ٣٠٢ هـ^(١) المصادف ١٤/٦/٩١٤ م ، فنشأ منذ صباه نشأة علمية في هذه المدينة التي كانت عاصمة البلاد وبغية العلماء من مختلف المدن العربية والإسلامية ، إذ كان لوالده عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله - الناصر لدين الله - الذي حكم الأندلس للفترة من سنة (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ / ٩١٢ - ٩٦١)^(٢) ، دوراً بارزاً في تعليمه ، فقد هبأه لاخذ العلوم عن نخبة من الشيوخ في مدينة قرطبة عدت كتب التراجم منهم ، المحدث الجليل قاسم بن اصبع بن محمد بن يوسف المعروف بالبياني ، الذي كان عالماً بصيراً بالحديث ، ماهراً في النحو والشعر^(٣) ، وزكريا بن خطاب ابن اسماعيل بن عبد الرحمن الكلبى ، الذي كان عالماً بالانساب^(٤) ، وسعيد بن جابر ابن موسى الكلاعي الذي كان نحويّاً ماهراً^(٥) ، ومحمد بن اسماعيل المعروف بالحكم الذي كان عالماً بالنحو والحساب ، ومؤدباً للحكم المستنصر^(٦) ، وثابت بن القاسم بن ثابت بن حزم العوفي الذي عده المقري من شيوخ الحكم الذين اجازوه^(٧) ولقد اسهم هؤلاء الشيوخ اسهاماً فاعلاً في تكوينه الثقافي والعلمي ، فنشأ نشأة علمية صحيحة ، وعرف عنه شغفه الشديد ، واهتمامه الزائد في العلوم ، ومصاحبة العلماء ومجالستهم والمبالغة في تقديرهم

(١) ابن الفرضي ، ابو الوليد عبد الله بن محمد بن نصر الازدي، تاريخ العلماء والرواة للعلم بالاندلس ، عني بنشره وصححه ، عزت العطار الحسيني، القاهرة ١٩٥٤ ، ١٥/١ .

(٢) ابن الفرضي ، المصدر نفسه، ٧/١ "خمسين سنة وستة اشهر ويومين؛ابن الاثير ، ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ، الكامل في التاريخ ، بيروت ١٩٦٦ ، ٥٣٥/٨ "خمسين سنة وستة اشهر وثلاثة ايام"؛ ابن الابار، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر القاضي، الحلة السيرة ، تح: حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٦٣ ، ٢٠٠/١ "خمسين سنة وستة اشهر وثلاثة ايام" ؛ ابن عذارى ، ابو العباس احمد بن محمد، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، تح : ج س كولان وليفي بروفنال ، بيروت د . ت ، ١٥٦/٢ " خمسين سنة وستة اشهر وثلاثة ايام " .

(٣) في ترجمة ينظر : ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ٤٠٦-٤٠٨ ، ترجمة . ١٠٧ ؛ الحميدي ، ابي عبد الله محمد بن ابي عبد الله محمد بن ابي نصر بن عبد الله الازدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٣٣٠ ، ترجمة ٧٦٩ .

(٤) في ترجمته ينظر: ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ١٧٦-١٧٧ ، ترجمة ٤٤٤ .

(٥) في ترجمته ينظر: ابن الفرضي ، المصدر نفسه ، ١٩٧-١٩٨ ، ترجمة ٤٩٤ .

(٦) في ترجمته ينظر: ابن الفرضي ، المصدر نفسه، ٥٤/٢ ، ترجمة ١٢٣٢ .

(٧) في ترجمته ينظر: ابن الفرضي ، المصدر نفسه ، ١٢٠/١ ، ترجمة ٣١٠ ، احمد بن محمد التلمساني ، نفح الطبيب من غصن الاندلس الرطيب ، تح : احسان عباس ، بيروت ١٩٦٨ ، ٣٩٥/١ .

واحترامهم^(١) . وقد ترك له والده ملكا شامخا قويا مدعم الاركان، وبلاداً موحدة مستقرة داخليا ، ومرهوبة الجانب من القوى الاجنبية المعاصرة، فتولى الخلافة من بعده ابنه الحكم الذي اعتلى كرسي الخلافة سنة (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ / ٩٦١ - ٩٧٦ م)

وبعد هذا الاستعراض الشامل لجانب من حياة الحكم المستنصر ، كان لا بد لنا من الوقوف على الجانب الاخر الذي يتمثل بقدراته وامكانياته العلمية لتكتمل الصورة لنا بالتعريف به، فقد كان مرجعا لكثير من علماء عصره ، ألف وعلّق على مؤلفات عديدة بحيث عدّت هذه التعليقات بمثابة المصادر التي اعتمدها مؤلفو كتب التراث الأندلسي من بعده ، حتى عد ابن الخطيب حجة وقدوة واصلاً يوقف عنده^(٢) ، وقلماً تجد كتاباً في خزائنه ومن أي حقل من حقول المعرفة ، الا وله نظر فيه، يقرأه ويدون فيه تعليقاته بخطه إما في اوله أو في آخره أو في تضاعيفه ، نسب المؤلف ومولده ووفاته والتعريف به ، ويذكر انساب الرواة له ويأتي من ذلك بغرائب لا تكاد توجد الا عنده لكثرة مطالعته وعنايته بهذا الفن ، وكان موثقاً به مأموناً عليه حتى صار كل ما كتبه حجة عند شيوخ اهل الاندلس وأئمتهم ينقلونه من خطه^(٣) ، وكثيراً ما اوردت لنا كتب التراث الاندلسي مثل هذه التعليقات تحت عبارة "رأيت أو قرأت بخط الحكم المستنصر رحمه الله" ، ومن الامثلة على ذلك ما ذكره ابن جُلجُل في ترجمة الحراني فقال:

رأيت هذه الحكاية عند ابي الاصبغ الرازي بخط امير المؤمنين المستنصر بالله رحمه الله^(٤) .

ثم اورد لنا ابن الفرضي كثيراً من هذه التعليقات وكما هو الحال في ترجمة : ثابت بن القاسم بن ثابت العوفي الذي اورد لنا تاريخ وفاته ، فقال : وتوفي سنة اثنتين وخمسين وثلاث مائة . وجدته بخط المستنصر بالله امير المؤمنين رحمه الله^(٥) . ثم حدد ايضاً التاريخ الذي تولى فيه عمر بن يوسف بن موسى بن فهد الاموي منصب القضاء بمدينة تطيلة (Toledo) بالشهر والسنة ، ثم حدد اليوم الذي توفي فيه مع ذكره للسنة ومن ثم تحديد عمره وميلاده ، فقال

(١) عياض ، أبو الفضل عياض بن موسى السبتي ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك ، تح : احمد بكير محمود ، بيروت د.ت ، ٤/٤٠٦ .

(٢) لسان الدين محمد ، اسبانيا الاسلامية أو اعمال الاعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام ، تح: ليفي بروفنسال ، بيروت ١٩٥٦ ، ٤١/٢ ؛ الحميدي ، المصدر السابق ، ص ١٣ ؛ الضبي ، احمد بن يحيى بن عميرة ، بغية الملتبس في تاريخ رجال الاندلس ، نشر فرانسيسكو كوديرا ، مدريد ١٤٨٤ ، ص ١٨ ؛ ابن الخطيب ، الاحاطة في اخبار غرناطة، تح : محمد عبد الله عنان ، القاهرة ١٩٥٥ ، ٤٨٦/١ .

(٣) ابن الابار ، المصدر السابق ، ٢٠٢/١ .

(٤) ابو داؤود سليمان بن حسان ، طبقات الاطباء والحكام ، تح: فؤاد سيد ، القاهرة ١٩٥٥ ، ص ٩٥ .

(٥) ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ١٢٠/١ ، ترجمة ٣٩٢ .

: "قرات بخط المستنصر رحمه الله في كتاب القضاة : أن عمر بن يوسف ولي القضاء بتطلية بعد بلال بن عيسى ، وذلك في شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثلاث مائة ، فلم يزل قاضياً إلى ان توفي : يوم الثلاثاء لثلاث عَشْرَةَ ليلة خلت من رجب سنة سبع وثلاثين وثلاث مائة ، وهو : ابن ثلاثٍ وتسعين سنة . وكان مولده يوم الاضحى سنة أربع وأربعين ومائتين" (١).

وكذلك الحال فيما ذكره الحميدي في ترجمة : ابن عبد ربه فقال : " توفي ابو عمر أحمد بن عبد ربه سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة لاثنتي عشر لَيْلَةً بقيت من جُمادى الاولى ومولده سنة ست واربعين ومائتين ، لعشر خلون من شهر رمضان ، فاستوفى احدى وثمانين سنة وثمانية اشهر وثمانية ايام ، ومدح الامير محمد ، والمنذر ، وعبد الله ، وعبد الرحمن الناصر ، هذا آخر ما رأيت بخط الحكم المستنصر ، وخطه حجة عند أهل العلم عندنا، لانه كان عالماً ثبِتاً" (٢).

وفضلاً عن اهتمامه في التراجم والسير ، فإنه قد اولى اهتماماً في انساب وقبائل العرب ، فقد " قيد كثيراً من أنساب أهل بلده وكلف أهل كور الاندلس أن يلحقوا كل عربي أخذ ذكره قبل ولايته وان يصحح نسبهم اهل المعرفة بذلك ، ويؤلف من الكتب {كذا} ويرد كل ذي نسب إلى نسبه (٣)" ، فقد تطرق ابن الفرضي إلى نسب حَوْشَب بن سلمة بن عبد الرحمن الهذلي، فقال: "وجدت نسبه وكنيته بخط المستنصر بالله رحمه الله" (٤)، وقال ايضاً في ترجمة عبد الله بن المغلّس " وقرأت بخط المستنصر رحمه الله ملحقاً في كتاب ابن حارث . وذكر موسى بن هارون بن عيسى القيسي قال عبد الله بن المغلّس مَوْلَى فُهِر (٥) . " ثم تطرق ابن الفرضي ايضاً إلى نسب محمد بن سلمه بن حبيب بن قاسم الصدفي ، فقال : " قرات نسبه بخط المستنصر بالله رحمه الله في كتاب القضاة" (٦) ، وممن اعتمد هذه التعليقات ايضاً وصرح بها، ابن حزم الاندلسي الذي اثبت نسب بعض الاعلام فقال: " هكذا كتبت من خط المستنصر بالله - رحمه الله " (٧) . او قد يصرح ابن حزم أنه لا يعرف من نسبه اكثر مما وجده بخط الحكم المستنصر - رحمه الله (٨) .

(١) ابن الفرضي ، المصدر نفسه ، ٣٦٧/١ ، ترجمة ٩٤٩ .

(٢) جذوة المقتبس ، ص ١٠١ ، ترجمة ١٧٢ .

(٣) ابن الابار ، المصدر السابق ، ٢٠٢/١-٢٠٣ .

(٤) ابن الفرضي ، المصدر السابق، ١٥١/١ ، ترجمة ٣٩٢ .

(٥) المصدر نفسه ، ٢٦٦/١ ، ترجمة ٦٨٣ .

(٦) المصدر نفسه، ١٤/٢ ، ترجمة ١١٢٤ .

(٧) ابو محمد علي بن احمد ، جمهرة انساب العرب ، تح : محمد بن عبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٧٧ ،

الصفحات ٣١٠ ، ٣٩٩ ، ٤٠٨ ، ٤٢٤ .

(٨) المصدر نفسه، ص ٨٨ .

٢. مكتبة الحكم وجهوده في تأسيسها ومصادر تمويلها :

تعد مكتبة الحكم المستنصر التي أُنشئت في جمع مؤلفاتها ، من أشهر المآثر التي خلفها هذا الخليفة العالم ، بما حوته من أعداد كبيرة من المؤلفات النادرة ، وقد تطرق ابن حزم الى ذكر الحكم المستنصر فقال : " كان رفيقا بالرعية سميا في العلم ملأ الاندلس بجمع كتب العلوم وأخبرني تليد الفتى وكان على خزانة العلوم بقصر بني مروان بالاندلس ، ان عدد الفهارس التي كانت فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسه في كل فهرسه خمسون ورقه ليس فيها الا ذكر أسماء الدواوين فقط " (١) . وكان أخوه عبد العزيز مسؤولا عن ادارتها (٢) .

ويبدو ان الحكم المستنصر جعل اقرب الناس اليه صلة مسؤولا عن المكتبة للمحافظة على ما تحويه هذه المكتبة من الكم الهائل من المؤلفات والتراث العظيم من التلّف والفقدان ، ولما لها من مكانه خاصة لدى الحكم المستنصر لانه عالم ، وان اشراف اخيه على المكتبة يدل ايضا على المستوى العلمي الراقى الذي كانت عليه عائلته الحكم ، اذ بدا الخليفة الحكم المستنصر واخوته محبين للعلم واهله مشجعين له ومحافظين عليه ، فجعل من قرطبة منتدى لجمع العلماء فيها .

ان اهتمام الحكم المستنصر في طلب العلم وجمع الكتب بدأ منذ ان كان وليا للعهد ، فقد عرف عنه اهتمامه الزائد وشغفه الشديد في العلوم ، واقتناء الكتب النادرة حتى اسس مكتبة حوت الألوف من امهات المؤلفات وفي اختصاصات علميه شتى ، نقلية منها وعقلية ، فقد ذكر ان الحكم المستنصر واخاه عبد الله كانا "يتباريان في طلب العلم ويتناغيان في جمعه ويتبادران الى إسطناع أهله واختصاص رجاله وإدناء منازلهم والاحسان اليهم" (٣) ، وبعد مقتل اخيه عبد الله ووفاته والده عبد الرحمن الناصر تصيرت كتبهم الى الحكم المستنصر ، فاصبح لديه ثلاث مكتبات (٤) ، وعلى الرغم من امتلاكه لتلك المكتبات الثلاث وما حوته من

(١) جمهرة انساب العرب ، ص ١٠٠؛ ابن الأبار ، المصدر السابق ، ٢٠٣/١ ، وهناك من المؤرخين من جعلها عشرون ورقة ؛ ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي ، العبر ، بيروت ١٩٧١ ، ١٤٦/٤ ؛ المقري ، المصدر السابق ، ١٨٤/١ .

(٢) عنان ، محمد عبد الله ، دولة الاسلام في الاندلس في الخلافة الاموية والدولة العامرية ، القاهرة ١٩٦٠ ، ٤٥٧/٢ ؛ السامرائي ، خليل ابراهيم وآخرون ، تاريخ العرب وحضاراتهم في الاندلس ، الموصل ١٩٨٦ ، ص ١٨٥ .

(٣) ابن الابار ، المصدر السابق ، ٢٠٦/١ .

(٤) ابن الابار ، المصدر نفسه ، ٢٠١/١ .

الكه الهائل من المؤلفات ، فانه لم يقف عند هذا الحد بل عمل جاهدا من اجل توسيعها والعناية بها من خلال الفقرات الآتية :

أولاً. ما الفه وادخله العلماء الذين استقطبهم إلى الأندلس :

تمثلت خطة الحكم المستنصر بالله في استقطاب العلماء الى الاندلس من خلال تكريمهم وإغداق العطاء لهم وانزالهم المنزلة الرفيعة التي تليق بهم ^(١) ، فزخر بلاطه بعدد من العلماء المشاركة والمغاربة ، وزينت الاندلس بقدمهم ، وقد تطرق ابن حيان الى ذكر الحكم المستنصر فقال : "كان من أهل الدين والعلم ، راغبا في جمع العلوم الشرعية من الفقه والحديث وفنون العلم ... مستجلبا للعلماء ورواة الحديث من جميع الافاق" ^(٢) .

ومن اجلاء العلماء والادباء المشاركة الذين وفدوا على الاندلس ، وزينوا بلاطه وملاؤه علما وادباً ، العالم العراقي اسماعيل بن القاسم ابو علي القالي المتوفي سنة (٣٥٦ هـ / ٩٦٦ م) والذي حل ضيفاً على الاندلس في خلافة والده عبد الرحمن الناصر لدين الله سنة (٣٣٠ هـ / ٩٤١ م) ^(٣) ، وما أظهره الحكم من حفاوة وتكريم عند استقباله وهو ولياً للعهد ، فأصدر أوامره الى هارون بن موسى كاتبه ووزيره ، والوفد المشكل للاستقبال ان يحسنوا استقباله ، الامر الذي يدفعنا الى ترجيح رواية الحميدي حينما تطرق الى قدوم ابي علي القالي والتي ذكر فيها ان الحكم المستنصر هو الذي كتب اليه ورغبه في الوفود عليه ^(٤) . فنهضت قرطبة في الدراسات اللغوية والادبية بقدمه لتمييزه بسعة الاطلاع في العلم والرواية، وطول الباع في اللغة وفنونها ،

(١) المقري ، المصدر السابق ، ٧٥/٣ .

(٢) ابن الابار ، المصدر السابق ، ٢٠١/١ ؛ الحميدي، المصدر السابق ، ص١٣ ؛ الضبي، المصدر السابق، ص١٨ ؛ ابن الخطيب ، الاحاطة في اخبار غرناطة ، تح : محمد عبد الله عنان ، القاهرة ١٩٥٥ ، ٤٧٨/١

(٣) في ترجمة ينظر : الزبيدي ، ابو بكر محمد بن حسن ، طبقات النحويين واللغويين ، تح : محمد ابو الفضل ابراهيم ، مصر ١٩٧٣ ، ص١٨٥ وما بعدها ؛ ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ٦٩/١ ؛ ابن حيان ، ابو مروان حيان بن خلف بن حسين ، المقتبس ، تح :شالميتا وآخرون ، الرباط ١٩٧٩ ، ص٤٧٩ ؛ الحميدي، المصدر السابق، ص١٦٤-١٦٧ ؛ ابن خير ، ابو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة ، فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وانواع المعارف ، تح : فرنسشكة قدارة زيدين وتلميذه خليان ربابة طرغوة ، القاهرة ١٩٦٣ ، الصفحات ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ؛ القفطي ، ابو الحسن جمال الدين علي بن يوسف ، انباه الرواة على انباه الرواة ، تح : محمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٥٠ ، ٢٠٤-٢٠٩ ؛ ابن خلكان ، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر ، وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ، تح : احسان عباس ، بيروت ١٩٧٠ ، ٢٢٦/١ .

(٤) الحميدي، المصدر السابق، ص١٦٥ ؛ الضبي ، المصدر السابق، ص٢١٧ .

تجلى ذلك بمن اخذ عنه من التلاميذ أمثال ابو بكر محمد بن حسن الزبيدي، وحكم بن منذر بن سعيد القاضي ، وابو القاسم احمد بن ابان بن سيد وغيرهم، لتلقي العلم من استاذهم الذي حمل معه نتاج الثقافة العربية من المشرق في اللغة والادب ، "وباسم امير المؤمنين الحكم المستنصر بالله طرز الشيخ أبو علي القالي كتاب الامالي"^(١) . هذا فضلاً عن ما ادخله ابو علي القالي من مؤلفات الى الاندلس ، والتي كانت تضم عدداً جماً من الدواوين ، وبخاصة دواوين الجاهليين والامويين والمجموعات الشعرية الهامة كالمفضليات وشعر الهذليين والنقائض ، ومما ادخله من دواوين الشعر : شعر ذي الرمة ، وعمر بن قميئة والحطيئة وجميل وأبي النجم الفضل بن قدامة وعلقمة بن عبدة والنابغة الذبياني والشماخ بن ضرار والاعشى ميمون بن قيس وعروة بن الورد والنابغة الجعدي وأوس بن حجر وامرى القيس بن حجر الكندي وطرفة بن العبد وغير هؤلاء كثير ، كما انه نقل معه كتباً من الاخبار والفنون المختلفة^(٢) .

ومن العلماء الوافدين الى الاندلس والذين حلوا ضيوفاً على الحكم المستنصر وزينوا بلاطه ، والذين اغدق لهم العطايا وشجعهم لكي يؤلفوا من اجل خزائنه أو يضيفوا كتبهم الى ما فيها،العالم محمد بن يوسف ابو عبد الله التاريخي الوراق المتوفي سنة(٣٦٣ هـ/٩٧٣ م)، الذي الف كتاباً ضخماً في " مسالك افريقيا وممالكها" والف في " اخبار ملوكهم وحروبهم والغالبين " كتباً جمة^(٣) .

اما الاديب يوسف بن محمد بن سليمان الهمداني المتوفي سنة(٣٨٣ هـ/٩٩٣ م) الذي رحل الى المشرق واقام بمصر عشرة اعوام ليتلقى العلم عن عدد من شيوخها ، فانه ادخل كتب محمد بن جرير الطبري المتوفي سنة (٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) الى الاندلس ، منها تفسير القرآن وتاريخ الملوك والذيل ، وكتاب الشافعي الكبير في مائة وعشرين جزء ، والذي صارت نسخته

(١) القالي ، ابو علي اسماعيل بن القاسم ، الامالي ، بيروت د.ت ، ١/م ترجمة المؤلف ؛ ابن الفرضي ، المصدر السابق، ٨٤/١، ترجمة ٢٢٣ ؛ ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ٤٧٩-٤٨٠ ، الحميدي، المصدر السابق ، ص ١٦٤-١٦٧ ؛ الضبي ، المصدر السابق، ص ٢١٧ ؛ ابن خلدون ، المصدر السابق، ١٤٦/٤ ، المقرئ ، المصدر السابق، ٣٨٥/١ ؛ وينظر : امين ، احمد ، ظهر الاسلام ، بيروت ١٩٦٩ ، ٢٣-٢٢/٣ ؛ عباس احسان ، تاريخ الادب الاندلسي عصر سيادة قرطبة بيروت ١٩٦٠ ، ص ٤٤ .

(٢) ابن خبير ، فهرسة ، ص ٣٩٥-٤٠٠ .

(٣) ابن حزم ، رسائل في فضائل الاندلس و أهلها ، نشرها وقدم لها صلاح الدين المنجد ، بيروت ١٩٦٨ ، ص ٨،٩ ؛ الحميدي ، المصدر السابق، ص ٩٧ ؛ المقرئ ، المصدر السابق، ١٦٣/٣ وعنده في " اخبار ملوكها وحروبهم والقائمين عليهم" .

للحكم المستنصر ، فضلا عن كتاب الاموال لابي عبيد القاسم بن سلام المتوفي سنة (٢٢٣ هـ / ٨٣٧ م)^(١).

ثانياً. حث جهابذه العلماء على التأليف :

لم يكتف الحكم المستنصر بما حظي به من امتلاكه لمكتبتي اخوه عبد الله ووالده عبد الرحمن الناصر بعد وفاتيهما ، بل عمل جاهداً على حث جهابذه العلماء من الاندلسيين وغيرهم ممن استقطبهم الى العاصمة قرطبة، واضعا تحت ايديهم كل إمكاناته المادية والمعنوية ، ليواصلوا عطائهم العلمي في مجال التأليف وفي شتى ميادين المعرفة العلمية ، فكثر التأليف وازداد عطاء العلماء في ميادين العلوم كافة ، "فتحرك اهل العلوم بما حركهم اليه الامير الموفق ماستحفظوا ما أضعوا من غرر الاخيار وقيدوا ما أهملوا من عيون المعارف واتصلت بجمعهم بركة الامير أبقاه الله في ذلك " ^(٢) .

ومن العلماء الذين كلفهم الحكم المستنصر في مجال التأليف ، العالم المغربي محمد بن حارث الخشني المتوفي سنة (٣٦١ هـ / ٩٧١ م) ، الذي اقترح عليه الحكم تأليف كتاب قضاة قرطبة ، فكان تخطيط الحكم عبارة عن تحديد الهدف والغاية فقط من الكتاب والاكتفاء بوضع الاطار العام ^(٣) ، ثم الف للحكم كتاب اخر عن طبقات المحدثين بالاندلس ، ويحوي الكتاب بين دفتيه معلومات قيمة عن النواحي الاجتماعية والتاريخية التي تساعد الباحثين في التعرف على طبيعة الحياة التي كان يعيشها المجتمع الاندلسي في القرن الرابع للهجرة / العاشر للميلاد ، على الرغم من ان الكتاب مكرس للحديث عن العلماء والمحدثين ^(٤) ، ولم يكن هذين الكتابين الذين صنفهما الخشني للحكم المستنصر ، فقد اشار الذهبي الى انه ألف له كتباً كثيرة^(٥) ، في حين ان ابن الفرضي قد ذكر ان الخشني ألف للحكم المستنصر مائة ديوان منها : كتابه في الاتفاق

(١) ابن الفرضي ، المصدر السابق .

(٢) الخشني ، ابو عبد الله محمد بن حارث بن أسد القيرواني ، قضاة قرطبة ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ١ ، وينظر : عباس ، المصدر السابق ، ص ٤٨-٤٩ .

(٣) الخشني ، المصدر السابق ، ص ١ .

(٤) طه ، عبد الواحد ذنون ، دراسات في التاريخ الاندلسي ، الموصل ١٩٨٧ ، ص ٩٤ . والكتاب مطبوع الآن وتوجد نسخة منه عند أ.د عبد الواحد ذنون طه عميد كلية التربية حالياً .

(٥) شمس الدين احمد بن محمد ، تذكرة الحفاظ ، صحح عن النسخة القديمة المحفوظة في مكتبة الحرم الملكي ، بيروت ١٩٦٥ ، ٣/١٠٠٢ .

والاختلاف في مذهب مالك ، وكتاب النسب ، وكتاب الفتنيا ، وكتاب تاريخ الافريقيين ، وكتاب التعريف ، وكتاب المولد والوفاة ، وكتاب فقهاء المالكية^(١)، وكتاب رجال الاندلس^(٢) .

ولم يكن الخليفة الحكم المستنصر بعيداً عن المؤلفين ، بل كان معلماً ومرشداً لهم في آن واحد ، يشاورهم الامر تارةً ، ويشاركهم الراي تارةً اخرى ، أو قد يقترح عليهم المنهج او الموضوع اذا تطلب الأمر ذلك منه ، أو يرسم طريقة تقسيمه ، كما فعل مع محمد بن حسن الزبيدي المتوفي سنة (٣٧٩ هـ / ٩٨٩ م) عندما طلب منه أن يؤلف له كتاباً للنحويين واللغويين^(٣) ، فقال : "أمرني بتأليف كتاب يشتمل على ذكر من سلف من النحويين واللغويين في صدر الاسلام ، ثم من تلاهم من بعد الى هلم جرى الى زماننا هذا وان اطبقهم على ازمانهم وبلدانهم حسب مذاهبهم في العلم ومراتبهم"^(٤)

ويقول في موضع اخر : "قالت هذا الكتاب على الوجه الذي أمرني به أمير المؤمنين أعزه الله وأقمته على الشكل الذي حده ، وأمدني أبقاه الله في ذلك بعنايته وعلمه واسمعني من روايته وحفظه ، إذ هو البحر الذي لا تتغير أواذيه"^(٥) . ولاتدرك سواحله ولا ينزح غمره^(٦) ، ولا تنضب مادته"^(٧) .

وممن ألف للحكم المستنصر وبامر منه ايضاً ، ابو عبد الحميد اسحاق بن سلمة بن وليد بن اسد القيني ، من أهل رية (Raiyo) ، والذي كان حافظاً لآخبار الاندلس معتنياً بها ، فقد جمع للحكم المستنصر كتاباً في اخبار الاندلس ،^(٨) أما خالد بن سعد القرطبي المتوفي سنة (٣٥٢ هـ / ٩٦٣ م) والذي كان اماماً في الحديث والمعروفين به بصيراً بعلمه ، وعالماً بطرقه ، مُقدماً على اقران عصره، فانه قد الف للحكم المستنصر كتاب في رجال الاندلس^(٩)،

-
- (١) المصدر السابق ، ١١٥/٢ ، ترجمة ١٤٠٠ ؛ وينظر : عياض ، المصدر السابق ، ٣-٤ / ٥٣١ .
(٢) ابن فرحون ، برهان الدين ابراهيم بن علي ، الديباج المذهب في معرفة اعيان المذهب ، تح : محمد الاحمدي ابو النور ، القاهرة ١٩٧٤ ، ٢/٢١٣ .
(٣) هيكل ، احمد ، الادب الاندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة ، مصر ١٩٧٠ ، ص ٢٠٧ .
(٤) طبقات النحويين واللغويين ، ص ١٧ .
(٥) الاواذي ، الامواج .
(٦) الغمر : الماء الكثير ، ويقال : نزح البئر ، أي استقى ماءها حتى ينفذ . الزبيدي ، المصدر نفسه ، ص ١٨
(٧) المصدر نفسه ، المكان نفسه .
(٨) ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ٨٩/١ ، ترجمة ٢٣٨ .
(٩) ابن الفرضي ، المصدر نفسه ، ١٥٥/١ ، ترجمة ٣٩٨ .

اعتمده ابن الفرضي مصدراً من مصادره الأساسية ونقل عنه في كتابه ما يزيد على مائتي ترجمه^(١).

واشتهر في حقل التاريخ كاتب الحكم المستنصر المؤرخ عريب بن سعد المتوفي سنة (٣٦٩ هـ / ٩٧٩ م) ، ولف للحكم كتاباً في التاريخ العام وصل به تاريخ الامم والملوك للطبري سماه "صلة تاريخ الطبري" وله اهتمام بالطب^(٢) ، كما ألف للحكم المستنصر كتاباً آخر في الانواء ، طبع تحت عنوان تقديم سنة (٣٦١ هـ / ٩٧١ م) ، نشره دوزي مع رساله مشابهة لاسقف قرطبة^(٣) ، وجمع له احمد بن عبد الملك بن هاشم المعروف بابن المكوي ، المتوفي سنة (٤٠١ هـ / ١٠١٠ م)^(٤) كتاباً حفيلاً في رأي مالك ، سماه "كتاب الاستيعاب" في مئة جزء ، واشترك معه في جمعه ابو بكر محمد بن عبيد بن الوليد بن محمد المعطي المتوفي سنة (٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م)^(٥).

ولم يترك الحكم المستنصر اية فرصة تفوته في اتخاذه لقرار تشجيع العلماء على التأليف حتى في أحلك الظروف التي كان يمر بها ، فذكر انه اراد الخروج لقتال الروم سنة (٣٥٢ هـ / ٩٦٣ م) وطلب ان يكون بصحبته عبد الله بن مغيث المعروف بابن الصفار المتوفي سنة (٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م) ، فالتمس العذر عن مصحابته لعدم قدرته على ذلك ، فأرسل اليه احمد بن نصر ابن خالد وأبلغه ان يقول له ان ضمن لي ان يؤلف في أشعار خلفائنا بالمشرق والاندلس مثل كتاب الصولي في اشعار خلفاء بني العباس اعفيته من الغزاة ، فلما اختار ابن الصفار التأليف على الغزو ، خيره الحكم المستنصر بين ان يكتب الكتاب في بيته او في دار الملك ، فاختار ان يكتبه في دار الملك ليضمن الانقطاع والوحدة وينفرد دون الزائرين والمترددین ، وينصرف لاتمام الكتاب ، وما أن اكمل الكتاب ابن الصفار في مجلد واحد ، حملة أحمد بن

(١) المصدر نفسه، بنظر على سبيل المثال التراجم ذات الارقام : ٣ ، ٤ ، ٢٦ ، ٣٤ ، ٦٦ ، ٨٨ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٩ ، ٣٠٢ ، ٣٠٩ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ .

(٢) ابن عبد الملك المراكشي ، ابو عبد الله محمد بن محمد الانصاري ، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة والصلة ، تح : احسان عباس ، بيروت ١٩٦٥ ، السفر ١٤١/٥-١٤٢ ؛ وينظر : بالنثيا ، انجل جنثالث ، تاريخ الفكر الاندلسي ، نقله عن الاسبانية ، حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٥٥ ، ص ٢٠٦-٢٠٧ .

(٣) بدر ، احمد ، الحياة الفكرية في الاندلس ، بحث منشور في مجلة دراسات تاريخية ، العددان التاسع عشر والعشرون ، دمشق ١٩٨٥ ، ص ١٢١ .

(٤) في ترجمة ينظر : ابن بشكوال ، ابو القاسم خلف ابن عبد الملك ، الصلة ، القاهرة ١٩٦٦ ٢٢/١-٢٣ ، ترجمة ٣٨ .

(٥) ابن بشكوال ، المصدر نفسه ، ٢٣/١ ؛ ابن فرحون ، المصدر السابق ، ١٧٦-١٧٧ ؛ الذهبي ، العبر في خبر من غير ، تح : فؤاد سيد ، الكويت ١٩٦١ ، ٧٤/٣ .

نصر الى الحكم المستنصر قبل عودته من غزاته ليسره به، فلقبه بطليطله (Toledo) عائداً ،
وتلقى الحكم المستنصر الكتاب مسروراً^(١) .

أما الاديب احمد بن محمد بن فرج الجياني المتوفي سنة (٣٦٣ هـ / ٩٧٦ م) ، فانه
الف للحكم المستنصر كتاب الحقائق ، في مائة باب ، وجعل في كل باب مائة بيت ، وعارض
فيه كتاب الزهرة لابي بكر محمد بن داؤد بن علي الاصبهاني^(٢) .

وممن شجعهم الحكم المستنصر على التأليف في مجال الحديث ، محمد بن احمد بن
يحيى بن مُفَرِّج القاضي ، له مؤلفات عديدة " في فقه الحديث ، وفي فقه التابعين ، منها ، فقه
الحسن البصري في سبع مجلدات ، وفقه الزُّهري في أجزاء كثيرة ، وجمع مسند حديث قاسم بن
اصبغ للحكم المستنصر"^(٣) . اما يعيش بن سعيد بن محمد الوراق المتوفي سنة (٣٩٤ هـ /
١٠٠٣ م) فانه قد " الف مسند حديث ابن الاحمر^(*) " بامر الحكم المستنصر"^(٤) .

وزخر بلاط الحكم المستنصر ايضا بعلماء اكرمهم هذا الخليفة العالم وقربهم اليه مثل
الاسقف المستعرب ربيع بن زيد ، لمعرفة بالعلوم الفلكية والفلسفية ، وهي من الدراسات التي
عني بها الحكم المستنصر ، وألف له كتاب "تفصيل الازمان ومصالح الابدان"^(٥) .

ثالثاً. ارسال ذوي الخبرة الى الامصار لاقتناء الكتب وجمعها :

لم يقف الامر لدى الحكم المستنصر في استقطاب علماء المشرق الى عاصمة الاندلس
قرطبة ، ولا بحث الملكات العلمية على التأليف ، بل عمل جاهداً من اجل رفدها بهذا الكم الهائل
من ذخائر المؤلفات المهمة والنفيسة ، فكان يوفد بعض الشخصيات الى الامصار المختلفة
لاقتناء غرائب مؤلفات العلماء المشهورين وجمعها ، فقد كان محمد بن طرخان المتوفي سنة
(٣٣٩ هـ / ٩٥٠ م)^(٦) وراق الحكم في بغداد ، وعمر بن محمد بن ابراهيم المعروف بابن الوفي

(١) الحميدي، المصدر السابق ، ص ٢٣٥ ، ترجمة ٥٣٣ .

(٢) الحموي ، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله ، معجم الابداء ، بيروت د.ت ، ٢٣٧/٤ ؛ الحميدي ، المصدر
السابق ، ص ١٠٤ ، ترجمة ١٧٦ .

(٣) الحميدي، المصدر نفسه ، ص ٤٠ ، ترجمة ١٠ ؛ الضبي ، المصدر السابق، ص ٣٨ ، ترجمة ١٤ .
(*) وابن الاحمر هو : ابو بكر محمد بن معاوية بن عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن معاوية بن اسحاق بن عبد
الله ... ، في ترجمة ينظر : الحميدي، المصدر السابق، ص ٨٨-٩٠ ، ترجمة ١٤٠ .

(٤) الحميدي، المصدر نفسه ، ص ٣٨٦ ، ترجمة ٩١٦ ، الضبي ، المصدر السابق، ص ٥٠٠ ، ترجمة ١٥٠٦ .

(٥) المقري ، المصدر السابق، ٣/١٨٦ .

(٦) في ترجمته ينظر : الذهبي ، المصدر السابق ٢/٢٥١ .

المتوفي سنة (٣٨٠هـ / ٩٩٠ م) الذي اقام في البصرة عشرين سنة تقريباً تولى خلالها شراء الكتب ، وبلغت النفقات التي جرت على يديه لهذا الغرض مائة وعشرين الف دينار ^(١) .
ويبدو ان وكلاء الحكم كانوا مؤهلين لاختيار الكتب النفيسة ، وربما كانوا حلقة الوصل بين الحكم ومشاهير المؤلفين في المشرق الاسلامي ، أمثال أبي الفرج الاصفهاني المتوفي سنة (٣٥٦ هـ / ٩٦٦ م) الذي ارسل له الف دينار من الذهب الخالص للحصول على نسخة من كتاب الاغانى ، فأرسل اليه نسخه منقحة قبل ان يظهر الكتاب في العراق ^(٢) ، كما الف له ايضا كتاباً في انساب قومه بني أمية موشحه بمناقبهم واسماء رجالهم وارسله الى قرطبة مع قصيدة يمدحه بها ويذكر مجد قومه بني أمية ، فجدد له الحكم المستنصر الصلة الجزيلة ^(٣) ، وكذلك فعل مع القاضي أبي بكر الابهرى المالكي المتوفي سنة (٣٧٥ هـ / ٩٨٥ م) في شرحه لمختصر ابن عبد الحكم ^(٤) ، وآخرين غيرهم ^(٥) .

واعتنى الحكم المستنصر بهذه الكتب عناية لامثيل لها ، واستعان بعدد من المهرة والبارزين في مجال الوراثة والنسخ ، حتى " جمع في قصره الحذاق في النسخ والمهرة في الضبط والاجادة في التجليد " ^(٦) امثال احمد بن سعيد بن مقدس الذي قال عنه ابن الفرضي : أنه "كان" كان نحوياً ضابطاً للكتب ، نسخ للمستنصر بالله رحمه الله كثيراً ^(٧) وعباس بن عمرو بن هارون الكناني الوراق المتوفي سنة (٣٧٩ هـ / ٩٨٩ م) الذي اتصل بالحكم المستنصر قبل توليه الخلافة فتوسع له في الورق وصار من جملة ورّاقيه ^(٨) ، ومن الغزباء الذين وفدوا إلى الاندلس واستخدمهم الحكم المستنصر في الوراثة ، ظفر البغدادي الذي " كان من رؤساء الوراقين المعروفين بالضبط وحسن الخط " ^(٩) .

رابعاً. تدقيق الكتب من التحريف والتصحيف ومقابلتها:

- (١) عياض ، المصدر السابق، ٣-٤/٥٧٢-٥٧٣ .
- (٢) ابن الابار ، المصدر السابق، ١/٢٠١-٢٠٢ ؛ ابن خلدون ، المصدر السابق ، ٤/١٤٦ ؛ المقري ، المصدر السابق ، ١/٣٨٦ ؛ وينظر : حمودة ، علي محمد ، تاريخ الاندلس السياسي والعمراني ، مصر ١٩٥٧ ، ص ٢٢٤ .
- (٣) ابن الابار ، المصدر السابق، ١/٢٠٢ .
- (٤) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ٤/١٤٦ ، المقري ، المصدر السابق ، ١/٣٨٦ .
- (٥) ابن الابار ، المصدر السابق، ١/٢٠١ .
- (٦) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ٤/٣١٧ ، المقري ، المصدر السابق ، ١/٣٨٦ .
- (٧) المصدر السابق ، ١/٦٢ ، ترجمة ١٦٥ .
- (٨) ابن الفرضي ، المصدر السابق، ١/٣٤٣ ، ترجمة ٨٨٦ .
- (٩) المقري ، المصدر السابق، ٣/١١١ .

عند إقتناء الحكم المستنصر على كتاب جديد في مادته ونسخه ، فانه كان يحرص على مقابلته وتدقيقه تحسباً من التحريف والتصحيف ، فقد ندب لهذه المهمة نخبة من الاعلام الذين كان لهم باع طويل في هذا المجال ، وأوعز اليهم مقابلة الكتب التي كانت ترد الى مكتبته وتدقيقها ، وممن كلفه الحكم المستنصر لهذه المهمة واستخدمه في المقابلة لدواوين بيت حكمته الذي حوى من كتب العلم ما لم يحويه بيت ملك ، القاضي ابو بكر بن السليم^(١) ، أما محمد بن يحيى بن عبد السلام النحوي ، المعروف بالبراجي المتوفي سنة (٣٥٨ هـ / ٩٦٨ م) فانه " صار الى خدمة المستنصر بالله في مقابلة الكتب وتوسع له في الجراية"^(٢)، ثم اصدر الحكم المستنصر المستنصر أمراً بتعيين احمد بن يوسف بوظيفة مقابلة الكتب واجرى له على ذلك راتباً^(٣) ، ولم يقف به الامر عند ذلك الحد ، بل جعل المقابلة خطة رسمية من خطط الدولة ويصرف للعاملين بها رواتب شهرية^(٤) .

وكان الحكم شديد الحرص على مقابلة ما يستنسخ له من الكتب على النسخة الاصلية التي جلبت اليه ، فقد اورد لنا ابن عبد الملك المراكشي معلومة تتعلق بما فعله الحكم مع عبد الملك بن ادريس الذي أدخل الى الاندلس كتاب الوقوف والابتداء ، والذي كتب منه للحكم المستنصر وقوبل معه في رمضان سنة (٣٤٨ هـ / ٩٥٩ م)^(٥) ، واذا ما ادرك الحكم المستنصر أن في نسخ البعض من الكتب تحريف أو تصحيف ، فانه لن يتوان عن الاستعانة بذوي الكفاءة والاختصاص ، حتى يقف على النص الصحيح والدقيق ، فقد أمر نخبة من الاعلام البارزين في علم اللغة إلى الاجتماع في دار الملك بقصر قرطبة لمقابلة كتاب العين للخليل بن احمد الفراهيدي المتوفي سنة (١٧٥ هـ / ٧٩١ م) ، فحضر كل من محمد بن أبي الحسين وأبي علي القالي وابني سيد واحضر من الكتاب نسخاً كثيرة ، في جملتها نسخة القاضي منذر بن سعيد البلوطي التي كانت من أشد النسخ تصحيفاً وخطأً وتبديلاً ، وتم تصحيح الكتاب وختم^(٦) .

خامساً. الهدايا والسفارات :

- (١) عياض ، المصدر السابق، ٣-٤/٥٤٣ .
- (٢) ابن الفرضي ، المصدر السابق، ٢/٧٢ ، ترجمة ١٢٩٢ .
- (٣) عياض ، المصدر السابق، ٣-٤/٥٤٥ .
- (٤) عياض ، المصدر نفسه، ٣-٤/٥٦٦ .
- (٥) المصدر السابق، ٥/١٣ .
- (٦) الحميدي ، المصدر السابق، ص ٥١-٥٢ ، ترجمة ٣٩ ، الضبي ، المصدر السابق، ص ٦١ ، ترجمة ٩٤ .

لعبت السفارات دوراً مهماً في توفير بعض الكتب النادرة والثرينة فقد وردت الى بلاد الاندلس بعض السفارات المسيحية ، طالبة عقد السلم والصلح ، وبعضها قدم من جملة الهدايا الكتب ، وسيلة منهم للتقرب الى المسلمين والتعريف بتراثهم الحضاري ، وكانت هذه الكتب تجد صدًى طيباً في البلاط الاموي ، فقد اهدى اسقف مدينة (Gorona) جرنده في احدى مقاطعات فرنسا الجنوبية الغربية ، كتاباً عن تاريخ الافرنج لولي العهد الحكم المستنصر سنة (٣٢٨هـ/٩٣٩م) وقد نقل المسعودي نصوصاً من ذلك الكتاب ^(١). ويبدو ان شهرة الحكم المستنصر العلمية قد وصلت إلى فرنسا ، مما دفع هذا الاسقف إلى الاعتقاد بان خير ما يتقرب به إلى البلاط الاموي ، هو تقديم مثل هذا الكتاب عن تاريخ الافرنج . كذلك وجدت الامبراطورية البيزنطية في عهد الامبراطور رومانوس (Romanus) في التوجهات العلمية للخلافة الاموية ، وسيلة لكسب ود هذه الخلافة ، وتعزيز العلاقة معها ، فارسلت في احدى سفاراتها إلى الاندلس سنة (٣٣٧هـ/٩٤٨م) ، من جملة الهدايا بعض الكتب اليونانية الثمينة ، منها كتاب الحشائش لديسقوريدس (Diso corides) وكتاب تاريخ هيروشيئس لباولوس اورسيوس (Paulus Orosiys) ^(٢) وقد شاع بين رعايا الحكم المستنصر ان افضل طريقة لنيل الحظوة لديه هي تقديم كتاب لا يوجد عنده ، وهكذا كانوا يهدون اليه أعمالهم أو يقدمون اليه نسخاً من المؤلفات النادرة ، حتى ذكران احد أساقفة قرطبة اهدى اليه تقويماً للاعياد المسيحية الاسبانية ، هو كتاب طريف ^(٣) .

(١) المسعودي ، ابي الحسن علي ابن الحسين بن علي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تح :شارل بلا ، بيروت ١٩٦٦ ، ٢ / ١٤٦ - ١٤٧ .

(٢) ابن جلجل ، المصدر السابق ، المقدمة ، ص يط ؛ ابن ابي اصيبعة ، موفق الدين ابي العباس احمد ، عيون الانباء في طبقات الاطباء ، تح: نزار رضا ، بيروت ١٩٦٥ ، ص ٤٩٣ - ٤٩٤ ؛ المقرئ ، المصدر السابق ، ١ / ٣٦٦ ؛ وينظر :حسين ، حازم غانم ، الحياة العلمية والثقافية في الاندلس في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي ، رسالة ماجستير مكتوبة على الآلة الطباعة ، جامعة الموصل ١٩٨٣ ، ص ١٤١ ، ١٦١ .

(٣) ريبيرا ، خوليان ، المكتبات وهواة الكتب في اسبانيا الاسلامية ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد الرابع ، الجزء الاول ، الكويت ١٩٥٨ ، ص ٨٨ .

الخاتمة

- تبيين من خلال البحث جملة من الامور يمكن اجمالها بما ياتي :
١. ان الدقة العلمية التي كان يقدمها الحكم المستنصر ، توضح لنا الصورة على سعة اطلاعه وحرصه الشديد والمتواصل على اضافة ما لديه من المعلومات على اغلب المؤلفات التي كان يقرأها ، سواء أكانت تعليقات أو هوامش أو ملاحق ، حتى صار كل ماكتبه حجة عند شيوخ اهل الاندلس وأئمتهم ، لذا فهو يستحق لقب عالم اذن.
 ٢. جعل الحكم المستنصر من مدينة قرطبة منتدى لجمع واستقطاب مشاهير العلماء من مختلف الامصار العربية والاسلامية ، بتوجيه الدعوة اليهم ، وتكريمهم واغداق العطاء عليهم ، وتشجيعهم على التأليف ، تاركاً لهم حرية الاختيار تارةً ، وبشاركهم الراي تارةً اخرى ، واضعاً تحت ايديهم كل امكاناته المادية والمعنوية ليواصلوا عطائهم العلمي في مجال التأليف وفي شتى ميادين المعرفة العلمية ، فكثر التأليف وازداد عطاء العلماء في ميادين العلوم كافة .
 ٣. نالت العلوم العقلية حظوتها من لدن الحكم المستنصر مما ادى الى حصول انقلاب تجاهها، فتحرك الناس في عهده الى قراءة كتب الاوائل وتعلم مذاهبهم ، اذ نال العاملون في هذا الميدان الحظوة والتقريب منه مالمقيه غيرهم من العلماء في العلوم الاخرى ، ويعود ذلك الى سياسته المتسامحة مع المفكرين ، واستجلب من بغداد وغيرها من ديار المشرق عيون التأليف الجليلة والمصنفات الغربية في العلوم القديمة والحديثة وجمع في بقية ايام ابيه ثم في مدة ملكه من بعده ماكان يضاهي ماجمعته ملوك بني العباس في الازمان الطويلة وتهدياً له ذلك لفرط محبته للعلم .
 ٤. بلغ التواصل الفكري ذروته بين المشرق العربي ومغربه من خلال حث جهابذه العلماء بالقدوم الى الاندلس ، وارساله ذوي الخبرة من وكلائه الى الامصار ، وتمويلهم بالمبالغ الهائلة لاقتناء الكتب وشرائها ، وان دل هذا على شيء فانه يدلنا على تأكيد ابناء الامة العربية على وحدتهم الثقافية والحضارية مع حواضر العالم الاسلامي المترامية الاطراف.
 ٥. ان المكتبة التي اسسها الخليفة الحكم المستنصر والتي بذل فيها جهداً لم يسبقه اليه احد ، انما تعود الى شخصيته العلمية ورغبته في تحقيق مبتغاه من اجل الحصول على الكتب وجمعها بأي ثمن كان ، ولانستغرب حينما تطرقت مصادرنا التاريخية الى انها كانت تحوي اربعمائة الف مجلد ، وان عدد الفهارس التي كانت فيها تسمية الكتب اربعة واربعون فهرسة وان في كل فهرسة خمسون ورقة فهي دليل قاطع على حجم تلك المكتبة وكما الهائل من المؤلفات ، وهي ليست مكتبة الحكم المستنصر لوحده وانما يضاف اليها مكتبة ابيه واخيه حسبما اشرت الى ذلك في ثنايا البحث ، وقد تطرق صاحب كتاب نفح الطيب الى الفترة

الزمنية التي استغرقتها عملية نقل المكتبة والتي حددها بستة أشهر لهو دليل آخر على صحة الروايات التي اوردتها مصادرنا التاريخية عن حجم وضخامة تلك المكتبة التي اسسها ومولها هذا الرجل العالم والتي اصبحت فيما بعد من اشهر المكتبات في العالم الاسلامي انذاك.

المصادر والمراجع

اولاً : المصادر الاولية :

- ابن الابار ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر القاضي (ت ٦٥٨هـ/١٢٥٩م).
 ١. الحلة السيرة ، تحقيق حسين مؤنس ، (القاهرة ١٩٦٣) .
 - ابن الاثير ، عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م).
 ٢. الكامل في التاريخ ، دار صادر ، (بيروت ١٩٦٦).
 - ابن ابي اصيبعة ، موفق الدين ابي العباس احمد (ت ٦٦٨هـ/١٢٦٩م).
 ٣. عيون الانبياء في طبقات الاطباء ، تحقيق نزار رضا (بيروت ١٩٦٥).
 - ابن بشكوال ، ابو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى الخزرجي الانصاري (ت ٥٧٨هـ/١١٨٢م).
 ٤. الصلة ، الدار المصرية ، (القاهرة ١٩٦٦) .
 - ابن جلجل ، ابي داؤد سليمان بن حسان (ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م) .
 ٥. طبقات الاطباء والحكماء ، تحقيق فؤاد سيد ، (القاهرة ١٩٥٥) .
 - ابن حزم ، ابو محمد علي بن احمد الاندلسي (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م) .
 ٦. جمهرة انساب العرب ، تحقيق عبد السلام هارون ، (القاهرة ١٩٧٧) .
 ٧. رسائل في فضائل الاندلس واهلها ، نشرها وقدم لها صلاح الدين منجد ، دار الكتاب الجديد ، (بيروت ١٩٦٨) .
 - الحموي ، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٦م) .
 ٨. معجم الادباء ، (بيروت دون تاريخ) .
 - الحميدي ، ابو عبد الله محمد بن ابي نصر بن فتوح بن عبد الله (ت ٤٨٨هـ/١٠٩٥م)
 ٩. جذوة المقتبس في ذكر ولاية الاندلس ، (القاهرة ١٩٦٦) .
 - ابن حيان ، ابو مروان حيان بن خلف بن حسين (ت ٤٦٩هـ/١٠٧٦م)
 ١٠. المقتبس ، تحقيق شالميتا واخرون ، مدريد ، (الرباط ١٧٧٩) .
 - الخشني ، ابو عبد الله محمد بن حارث بن اسد القيرواني (ت ٣٦١هـ/٩٧١م)

۱۱. قضاة قرطبة، (القاهرة ۱۹۶۶)
- ابن الخطيب، لسان الدين محمد (ت ۷۷۶/هـ / ۱۳۷۴م)
۱۲. الاحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، (القاهرة ۱۹۵۵).
۱۳. اسبانيا الاسلامية أو اعمال الاعلام في من بويغ قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، القسم الثاني، الاندلس، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المكشوف، (بيروت ۱۹۵۶).
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت ۸۰۸/هـ / ۱۴۰۵م)
۱۴. العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، (بيروت ۱۹۷۱).
- ابن خلکان، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر (ت ۶۸۱/هـ / ۱۲۸۲م).
۱۵. وفيات الاعيان وابناء ابناؤ الزمان، تحقيق احسان عباس، دار الثقافة، (بيروت ۱۹۷۰).
- ابن خير، ابو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الاموي الاشبيلي (ت ۵۷۵/هـ / ۱۱۷۹م).
۱۶. فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وانواع المعارف، تحقيق فرنسشكة قدارة زيدين وخليان رابرة طرغوة، مؤسسة الخانجي، (القاهرة ۱۹۶۳).
- الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد (ت ۷۴۸/هـ / ۱۳۴۷م)
۱۷. تذكرة الحفاظ، دار احياء التراث العربي، (بيروت ۱۹۶۵)
۱۸. العبر في خبر من غبر، تحقيق فؤاد سيد، دار المطبوعات والنشر، (الكويت ۱۹۶۱).
- الزبيدي ابو بكر محمد بن الحسن، (ت ۳۷۹/هـ / ۹۸۹م)
۱۹. طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، (القاهرة ۱۹۷۳) الضبي، احمد بن يحيى بن عميره (ت ۵۹۹/هـ / ۱۲۰۳م).
۲۰. بغية الملتمس في تاريخ رجال الاندلس، نشر فرانسسكو كوديرا، مطبعة روكس (مدريد ۱۴۸۴)
- ابن عبد الملك المراكشي، ابو عبد الله محمد بن محمد (ت ۷۰۳/هـ / ۱۳۰۴م).
۲۱. الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق احسان عباس، (بيروت ۱۹۶۵)، ابن عذاري، ابو العباس احمد بن محمد (ت ۶۹۵/هـ / ۱۲۹۵م).
۲۲. البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، تحقيق ج.س. كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، (بيروت دون التاريخ)،
- عياض، ابو الفضل عياض بن موسى السبتى (ت ۵۴۴/هـ / ۱۱۴۹م).
۲۳. ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك، تحقيق احمد بكير محمود (بيروت دون تاريخ)
- ابن فرحون، برهان الدين ابراهيم بن علي ابن محمد (ت ۷۹۹/هـ / ۱۳۹۶م).

٢٤. الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب ، تحقيق محمد الاحمدي ابو النور ، مكتبة دار التراث ، (القاهرة ١٩٧٢)
- ابن الفرضي ، ابو الوليد عبد الله بن محمد بن نصر بن يوسف الازدي ، (ت ٤٠٣/هـ ١٠١٢م) ٢٥. تاريخ العلماء والرواة للعلم بالاندلس ، عني بنشره وصححه ووقف على طبعه ، عزت العطار الحسيني ، مكتبة الخانجي (القاهرة ١٩٨٨)
- القفطي ، جمال الدين ابي الحسن علي بن يوسف (ت ٦٤٦/هـ ١٢٤٨م) ٢٦. انباه الرواة على انباه النحاة ، تحقيق محمد ابوالفضل ابراهيم ، مطبعة دار الكتب المصرية ، (القاهرة ١٩٥٠).
- المسعودي ، علي بن الحسين (ت ٣٤٧ هـ / ٩٥٧ م) .
٢٧. مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق شارل بلا ، (بيروت ١٩٦٦) .
- المقري، شهاب الدين احمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م) ٢٨. نفع الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق احسان عباس ، دار صادر ، (بيروت ١٩٦٨).

ثانياً. المراجع الثانوية:

- امين، احمد
٢٩. ظهر الاسلام ، دار الكتاب العربي ، (بيروت ١٩٦٩).
- بالنثيا، انجل جنتالث
٣٠. تاريخ الفكر الاندلسي، نقله عن الاسبانية، حسين مؤنس، (القاهرة ٩٥٥).
- حمودة، علي محمد
٣١. تاريخ الاندلس السياسي والعمراني ، (مصر ١٩٥٧) .
- السامرائي ، خليل ابراهيم وآخرون
٣٢. تاريخ العرب وحضاراتهم في الاندلس ، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر ، (الموصل ١٩٨٦) .
- طه ، عبد الواحد دنون
٣٣. الفتح والاستقرار العربي الاسلامي في شمال افريقيا والاندلس ، دار الرشيد للنشر ، (بغداد ١٩٨٢) .
- عباس ، احسان
٣٤. تاريخ الادب الاندلسي ، عصر سيادة قرطبة ، دار الثقافة ، (بيروت ١٩٦٠) .
- عنان ، محمد عبد الله

٣٥. دولة الاسلام في الاندلس في الخلافة والدولة العامرية ، (القاهرة ١٩٦٠) .
هیکل ، احمد

٣٦. الادب الاندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة ، (مصر ١٩٧٠) .

ثالثا. الدوريات والمقالات العربية:

بدر ، احمد

٣٧. الحياة الفكرية في الاندلس من خلال النشاط الفكري في بلاط الحكم المستنصر بالله ، مجلة دراسات تاريخية ، العددان التاسع عشر والعشرون ، نيسان- تموز ، (دمشق ١٩٨٥) .

ريبيرا ، خوليان .

٣٨. المكتبات وهواة الكتب في اسبانيا الاسلامية ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد الرابع ، الجزء الاول ، (الكويت ١٩٥٨) .

رابعا. الرسائل الجامعية:

حسين ، حازم غانم .

٣٩. الحياة العلمية والثقافية في الاندلس في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي ، رسالة ماجستير مكتوبة على الآلة الطابعة ، جامعة الموصل ١٩٨٣ .